سعيد بن جبير

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[2]

سعيد بن جبير

سعيد بن جبير

الشهيد الضاحك

يكنى أبا عبد الله.

هو سعيد بن جبير، وارث علم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ، وعبد الله بن عمر.

وأحد أعلام التابعين.

كان مع عبد الرحمن بن الأشعث حين خرج على الخليفة عبد الملك بن مروان لعسفه وإسرافه في القتل.

سعيد بن جبير وترجمان القرآن:

سأل عبد الله بن عباس أبا عبد الله:

- ممن أنت؟

قال سعيد بن جبير:

- من بنى أسد.

فقال ابن عباس:

- من عربهم أو مواليهم؟

قال أبو عبد الله:

- لا بل من مواليهم.

فقال ترجمان القرآن لسعيد بن جبير:

- فقل أنا ممن أنعم الله عليه من بنى أسد.

ثم قال ابن عباس لأبي عبد الله:

- وحَدِّث.

فقال سعيد بن جبير:

- أحدث وأنت هاهنا؟

قال ترجمان القرآن:

- أو ليس من نعمة الله عليك أن تتحدث وأنا شاهد فان أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك؟

يقول سعيد بن جبير:

- ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفت ي حتى أملأهما، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفى، وربما أتيته فلم أكتب حديثًا حتى أرجع.

ويقول عمرو بن أبى المقدام عن مؤذن أبى وداعة:

- دخلت على عبد الله بن عباس وهو متك ئ على مرفقة من حرير، وسعيد بن جبير عند رجليه وهو يقول له: انظر كيف تحدث عني فإنك قد حفظت عني حديثًا كثيرًا.

ولما عمى ابن عباس كان إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه قال:

- تسألوني وفيكم ابن أم دهماء - يعنى سعيد بن جبير -؟

وسأل أبو حصين أبا عبد الله:

- أكل ما أسمعك تحدث سألت عنه ابن عباس؟

قال سعيد بن جبير:

- لا، كنت أجلس ولا أتكلم حتى أقوم، فيتحدثون فأحفظ.

سعيد بن جبير وعبد الله بن عمر:

قال أبو عبد الله:

- كنت أسأل ابن عمر في صحيفة، ولو علم بها كانت الفيصل بيني وبينه، فسألته عن الإيلاء.

قال عبد الله بن عمر:

- أتريد أن تقول: قال ابن عمر، وقال ابن عمر؟

قال سعيد بن جبير:

- نعم ونرضى بقولك ونقنع.

قال عبد الله بن عمر:

- يقول في ذلك الأمراء.

وكان أهل الكوفة إذا اختلفوا في شيء كتبه سعيد بن جبير عنده حتى يلقى عبد الله بن عمر فيسأله عنه.

وجاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة، فقال عبد الله بن عمر:

- ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني، وهو يفرض منها ما أفرض.

دعوة مستجابة:

كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم الليل - من الليل - بصياحه، فلم يصح ليلة من الليال ي حتى أصبح، فلم يصل سعيد تلك الليلة - صلاة التهجد أو قيام الليل - فشق عليه ذلك فقال:

- ماله قطع الله صوته؟

فما سمع للديك صوت بعد هذه الدعوة.

فقالت أم سعيد:

- يا بنى لا تدع الله على شيء بعدها.

عبادة سعيد بن جبير

كان سعيد بن جبير يختم القرآن في كل ليلتين.

يقول معاوية بن إسحاق:

- لقيت سعيد بن جبير عند الميضاة - الموضع الذي يتوضأ فيه، والمطهرة التي يتوضأ منها - فرأيته ثقيل اللسان.

قال سعيد بن جبير:

- قرأت القرآن البارحة مرتين ونصفا.

وقال حماد:

- إن سعيد بن جبير قرأ القرآن في ركعة في الكعبة، وقر أ في الركعة الثانية بقل هو الله أحد.

قال عبد الله بن مسلم:

- كان سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كأنه وتد.

وقال القاسم بن أبى أيوب:

- سمعت سعيد بن جبير يردد هذه ا لآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة: {وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ} [سورة البقرة الآية: ٢٨١].

وقال هلال بن خباب:

- خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضين من رجب فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، **وكان يخرج في كل سنة مرتين مرة للحج ومرة للعمرة.**

وكان سعيد بن جبير يقص للمصلين كل يوم مرتين: بعد صلاة الفجر وبعد العصر.

وكان سعيد بن جبير يجيء فيما بين المغرب والعشاء فيقرأ القرآن في رمضان.

يقول سعيد بن جبير:

- ما مضت على ليلتان منذ قتل الحسين - الحسين بن على بن أبى طالب - إلا أقرأ فيهما القرآن إلا مسافرًا أو مريضًا.

قال أبو شهاب:

- كان سعيد بن جبير يصلي بنا العتمة في رمضان- صلاة العشاء - ثم يرجع فيمكث هنيهة ثم يرجع فيصل ي بنا ست ترويحات ويوتر بثلاث يقنت بقدر خمسين آية وكان سعيد بن جبير إذا ختم السورة في صلاته تطوعا قال:

- صدق الصادق البار.

يقول ابن جبير:

- لأن أضرب على رأس ي أسواطًا أحب من أن تُكلم والإمام يخطب يوم الجمعة.

وكان إذا قال الإمام:{غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ } [سورة الفاتحة الآية: ٧].

قال سعيد بن جبير:

- اللهم اغفر لي امين.

وكان إذا قال الإمام:

- سمع الله لمن حمده.

قال سعيد بن جبير:

- اللهم ربنا لك الحمد ملء السم اوات وملء الأرضين السبع وملء ما بينهما وملء ما شئت بعد.

وربما لم يزل يتكلم بهذا حتى يهوى إلى السجود فيقول:

- الله أكبر.

وعق سعيد بن جبير عن نفسه بعد ما كان رجلاً - كان يعلم أن كل غلام رهينة بعقيقته كما قال رسول الله ﷺ.

الجهاد في سبيل الله:

في الوقت الذي اعتزل فيه كثير من العلماء والفقهاء وظائف الدولة، وشاءوا لأنفسهم أن يقتصروا على النصيحة والتوجيه في رفق وحيطة خاصة في ظل إمارة ظالمة يحكمها طاغية غشوم، شارك سعيد بن جبير في بعض وظائف الدولة الأموية فقد ساهم في القضاء والمشورة، ولم يتخلف أبو عبد الله عن الغزو، فقد كان يعرف قدر الجهاد في سبيل الله سواء كان جهاد العدو أو جهاد الحاكم الظالم، كان سعيد بن جبير يضع قول رسول الله ﷺ نصب عينيه.

قال الصادق المصدوق ﷺ :

-♂**عليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم، وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد، وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا ت أخذكم في الله لومة لائم** (رواه الحاكم في المستدرك، والبخاري، ومسلم عن عبادة بن الصامت).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-♂**غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها** (رواه مسلم، وابن ماجه عن أبى هريرة).

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

-♂**أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وأمير جائر** (رواه الخطيب عن أبى سعيد).

جهاد العدو:

كان رتبيل ملك الترك مصالحًا المسلمين، وكان يؤدى الخراج، وربما امتنع منه، فبعث الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج يبغضه ويقول:

- ما رأيته قط إلا أردت قتله.

وسمع عامر الشعبي ذلك من الحجاج ذات يوم فانطلق إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأخبره به، فقال عبد الرحمن:

- والله لأحاولن أن أزيل الحجاج من سلطانه.

ولما سمع سعيد بن جبير بخروج ابن الأشعث للغزو والجهاد خف إلى مقاتلة رتبيل ملك الترك حين تحرش بالمسلمين وهاجم سجستان فدك الحصون، وأزهق أرواح المسلمين، ووقع العرب في رعب شديد وفزع هائل.

وخرج الجيش الإسلامي بقيادة ابن الأشعث لتأديب الطغاة ومعه العدة الوافية من السلاح والرجال والخيول.

كانت المعركة تتطلب البطولة الحازمة والرأ ي الحصيف، فلما علم رتبيل بمقدم جيش المسلمين أرسل إلى ابن الأشعث يعتذر ويبذل الخراج فشاور ابن الأشعث أصحابه فقال سعيد بن جبير:

- المسلمون مقبلون على أصقاع نائية ذات هضاب وأشواك، وعدونا مستقر ببلاده يعرف الدروب وال مسالك، ويتمتع قائده بحيل ماكرة تذلل الصعاب والعسير وتقوم مقام القوة والعتاد، **فلابد إذن من العزيمة الصادقة، والجلاد الصابر المرير.**

وخطب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث جنوده وصور الموقف داعيًا إلى الحمية والاستبسال ثم لم يقبل ما عرضه رتبيل.. وسار إليه.

دخل ابن الأشعث بلاد الترك، وترك له رتبيل أرضًا أرضًا ورستاقًا - الرستاق كلمة فارسية وهي السواد، الجمع الرساتيق - رستاقًا وحصنًا حصنًا.

وتقدم ابن الأشعث يحتل بلدًا بلدًا، ولا يندفع في طريق دون أن يختبر دروبه ويلم بما أمامه من مرتفعات وجعل ا لأرصاد على

الشعاب **حتى كتب الله له النصر وجاز أرضًا عظيمة** وملأ الناس أيديهم من الغنائم ومنع المسلمين من الوغول في أرض رتبيل وقال ابن الأشعث:

- نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجوبها ونعرفها، وفي العام المقبل نأخذ ما وراءها إن شاء الله تعالى، حتى نقاتلهم في آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وأقصى بلادهم حتى يهلكهم الله تعالى.

وأشار سعيد بن جبير إلى ابن الأشعث أن يكتب إلى الحجاج، فكتب عبد الرحمن بن محمد بن ا لأشعث إلى الحجاج ينبئه بما أصاب من **غنم وما عزم عليه من هدنة مؤقتة بعده ا الاستيلاء التدريج ي على بلاد الترك.**

وكان على الحجاج أن يقدر لعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث موقفه ويشجعه ولو بكلمات تفعل فعل الساحر الحميد في نفسية القائد المناضل وجنوده المغاوير، **ولكن الحجاج عارض الهدنة** معارضة شديدة.

خلاف ابن الأشعث على الحجاج:

كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث كتابًا قال

فيه: إن كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة يستريح إلى الموادعة، قد صانع عدوًا قليلاً ذليلاً، قد أصابوا من المسلمين جندًا كا ن بلاؤهم حسنًا وغناؤهم عظيمًا، وإنك حين تكف عن ذلك العدو بجند ي لسخ ي النفس بمن أصيب من المسلمين، فامض إلى ما أمرتك به من الوغول في أرضهم، والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم.

ثم أردفه بكتاب آخر قال فيه:

أما بعد.

فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا - يزرعوا - وليقيموا بها فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم.

ثم كتب كتابا ثالثًا قال فيه:

أما بعد:

إن أمضيت لما أمرتك وإلا فلخوك إسحاق بن محمد أمير الناس.

فدعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الناس وقال لهم:

أيها الناس: إني لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيطكم نفعه ناظر، وقد كان فيما بيني وبين عدوى بما رضيه ذو أحلامكم وأولو التجربة منكم، وكتبت بذلك إلى أميركم الحجاج **فأتاني كتابه يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجل الوغول بكم في أرض** العدو، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم با لأمس - كانو ا بصحبة **عبيد الله بن أبى بكرة** تركهم الترك يتوغلون في بلادهم ثم أخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط في أيد ي المسلمين، وظنوا أنهم هلكوا فصالحهم عبيد الله بن أبى بكرة على سبعمائة ألف درهم يوصلها إلى روتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من أرض الترك -، **وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتم وأأبى إذا أبيتم.**

ثار إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الناس وقالوا:

- بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع.

كان في طليعة الثائرين على الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير، فلما رأى الناس ذلك قام أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني وله صحبة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أما بعد

فإن الحجاج يرى بكم ما رأى القائل ا لأول احمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك - فلك -، وإن نجا فلك، إن الحجاج ما يبال ي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلادًا كثيرة فيغشى **اللهوب** - جمع لهب وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه - **واللصوب** - جمع لصب وهو مضيق الوادي -، فإن ظفرتم وغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم ولا يبقى عليهم، **اخلعوا عد و الله الحجاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن، فإني أشهدكم إني أول خالع.**

فنادى الناس من كل جانب:

- فعلنا فعلنا، قد خلعنا عدو الله.

وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي فقال:

- عباد الله، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود، فإنه بلغن ي أنه أول من جمر البعوث، ولن تعاينوا - تروا - الأحبة أو يموت أكثركم فيما أرى، **فبايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم.**

فوثب الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فبايعوه على خلع الحجاج بن يوسف الثقفي ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة، ولم يذكر عبد الملك بن مروان.

لماذا فعل ذلك الحجاج؟

بدلا من أن يصوغ الحجاج كتابه إلى عبد الله بن محمد بن الأشعث بأسلوبه صياغة هادئة تتجافى من الاستهجان والوعيد، ثم يشير إلى رغبته في استئناف القتال مشجعًا قائده، مثنيًا على جهوده **حتى لا تتفجر نفوس الجنود بالت مرد والغضب والعصيان** فقد كان ابن

الأشعث بمكانه من الكفاح وخبرته بالواقع والدروب أعلم وأبصر من الحجاج بما يجب أن يتبع مع الترك، فقد درس البلاد وتمرس بخطوبها الفادحة، ولن يستوي الغائب البعيد والشاهد القريب بحال، لم يفعل ذلك الحجاج فكانت نتيجة لم يتوقعها.. ثورة هائجة من أناس جاهدوا أعنف الجهاد وبذلوا أرواحهم ثم قوبلوا من القيادة بالاستخفاف والتحقير والإبعاد.

وكانت ثورة الحجاج بن يوس ف على ابن الأشعث لا تتعلق بمصلحة القتال والحرب مع الترك، بل **مصلحة شخصية** فهو يرى في عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث منافسا خطيرًا يقوم له الناس ويقعدون، وإن وقعت الهدنة بينه وبين روتبيل ملك ال ترك كما يريد ابن الأشعث فسوف يتفرغ إلى جمع قلوب الناس نحوه والتفاف السلمين حول رايته، ومن ثم تعظم مكانته ويحتل في بلاط بنى أمية منزل المنافس العنيد.

لذا بادر الحجاج بن يوسف بعزل ابن الأشعث وتهديده.

فكانت ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج.

الثورة.. والعودة إلى العراق:

جعل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على بُست عياش بن هيمان الشيباني، وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمي.

وصالح ابن الأشعث روتبيل ملك الترك على أن ظهر - هزم الحجاج بن يوسف ونفاه عن البلاد - فلا خراج عليه أبدًا ما بقى، و أن هزم فأراد مَنعَه.

ثم رجع إلى العراق، فسار بين يديه أعشى همدان، وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العبر ي، وجعل على كرمان حربثة بن عمرو التميم ي فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم إلى

بعض وقالوا:

- إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك بن مروان فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

فكان أول الناس خلع عبد الملك تيجان بن أبحر من تيم الله بن ثعلبة، قام فقال:

- أيها الناس إني خلعت أباذَبَّان كخلعي قميصي.

فخلعه الناس إلا قليلا منهم، وكان في مقدمة الثائرين: ابن جبير، وعامر الشعبي، وعبد الرحمن بن ليلى وبايعوا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فقام سعيد بن جبير وقال:

- نبايع - بايعوا - على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المُحلّين.

هزيمة أصحاب الحجاج:

لما بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك بخبر عبد الرحمن ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه، وسار الحجاج حتى نزل البصرة، **وقد لاقت ثورة ابن الأشعث تأييدًا إجماعيًا من العراق** وخاصة أن أعلام الفقه وأئمة العلم: سعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعامر الشعبي كانوا في مقدمة الثائرين.

ولما وصل كتاب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان هاله ودعا خالد بن زيد فأقرأه الكتاب فقال:

- يا أمير المؤمنين إن كان الحدث من سجستان فلا تخفه، وإن كان من خراسان فإني أتخوفه.

فجهز عبد الملك الجند إلى الحجاج، فكانوا يصلون إلى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين وأقل أو أكثر.

وكتب الحجاج تصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

وسار الحجاج من البصرة ليلتقي ابن الأشعث، فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة إلى دُجَيْل، فلقوا عنده خيلاً لابن الأشعث، فلفهزم أصحاب الحجاج بعد قتال شديد، وكان ذلك يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين من الهجرة، وقتل منهم جمع كثير.

وتلاحقت انتصارات عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكاد يتم له النصر الساحق في مواقع متتالية أخذت تتلاحق وتتابع.

وانسحب الحجاج من البصرة فدخلها ابن الأشعث و أصحابه فبايعه جميع أهل البصرة قراؤها وكهولها.

لماذا ثار أهل العراق في وجه الحجاج؟

رأى سعيد بن جبير ظلم ومظالم الحجاج بن يوسف وقسوته فلم يعتزل الناس في مسجده بل عمل على تخفيف الحدة الطاغية بالنصيحة والموعظة فلم تزد الطاغية إلا طغيانًا فقد بلغت قوة الحجاج بالعراق مبلغًا أثار النفوس وأشعل الصدور، فقد كانت الدماء المراقة والأشلاء المتطايرة، والسجون المكتظة بالأبرياء **مثارًا للحنق والغضب والتبرم** ،

ولم ير الحجاج في قسوته ووحشيته دينًا أو مروءة، فكان يعنف ويبالغ في التعنيف والتعذيب حتى لا يترك في النفوس موضعًا لسكينة واطمئنان **وأصبح الناس ما بين خائف على نفسه يستكين ويذل، ومجاهر بالثورة يستقبل الموت راضيًا مسرورًا، متخلصًا من حياة الذل والهوان.**

وكانت لقسوة الحجاج بن يوسف بواعث نفسية ترجع إلى شعوره بضعة أهله، وتعالى بعض الناس عليه ممن ينتمون إلى قبائل جهيرة ويفوقهم الحجاج بن يوسف - في رأيه الخاص - ذكاء وتجربة

وحزمًا، هذا إلى جانب طموحه الخارق إلى أسباب السيادة والسيطرة، طموحًا جعله رجل الدولة الصارم، **وسيف بنى مروان بن أمية البتار.**

لم يرع الحجاج في قسوته وبطشه دينًا أو مروءة حتى ألقى الرعب في القلوب وبث في النفوس القلق والذعر، حتى أصبح الناس ما بين خائف على نفسه **فوضع كمامة على فمه، ومجاهر بالحق** ، فالسكوت على الحق شيطان أخرس.

وكان في مقدمة من قذف بكلمة الحق لدى سلطان جائر سعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وكثير من الفقهاء والعلماء، **الذين وجدوا في ابن الأشعث الفجر الجديد، فقاموا وبايعوه وحاربوا معه الطاغية.**

عبد الملك بن مروان يعرض على الثوار عزل الحجاج:

قال عبد الملك وأهل الشام:

- إن كان يرضى أهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فإن عزله أيسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء.

فبعث عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله وأخاه محمد بن مروان، وكان محمد بن مروان بأرض الموصل إلى الحجاج في جند كثيف **وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج،** وأن يجريا عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام، وأن ينزل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أي بلد شاء من بلد العراق، فإذا نزله **كان واليًا عليه** ما دام حيًا وعبد الملك بن مروان خليفة، فإن أجاب أهل العراق إلى ذلك عزل الحجاج عنها وصار محمد بن مروان **أمير العراق** - بدلاً من الحجاج بن يوسف الثقفي -، **وإن رفض أهل العراق** قبول ذلك فللحجاج أمير الجماعة ووال ي القتال ومحمد بن مروان، وعبد الله بن عبد الملك في طاعته.

لم يأت الحجاج بن يوسف أمر قط كان أشد عليه و أوجع لقلبه من ذلك مخافة أن يقبل أهل العراق عزله فيعزل عنهم، فكتب إلى عبد الملك بن مروان:

والله لو أعطيت أهل العراق نزع ي - عزلي - لم يلبثوا إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك، ألم تر ويبلغك وثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان - أمير المؤمنين عثمان بن عفان - فقتلوه؟ وأن الحديد بالحديد يفلح.

فلما جاء كتاب الحجاج الخليفة أبى - رفض - عبد الملك بن مروان إلا عرض عزل الحجاج على أهل العراق، فلما اجتمع عبد الله بن عبد الملك، ومحمد بن مروان مع الحجاج بن يوسف، خرج عبد الله بن عبد الملك وقال:

- يا أهل العراق أنا ابن أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا.

وخرج محمد بن مروان فقال:

- يا أهل العراق أنا أخو أمير المؤمنين ورسوله وهو يعطيكم كذا وكذا. فقال أهل العراق:

- نرجع العشية.

فرجعوا واجتمعوا عند عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال لهم:

- قد أعطيتم أمرًا، انتهازكم اليوم إياه فرصة، وإنكم اليوم على النصف - الحق -، فإن كانوا اعتدوا عليكم **يوم الزاوية**، فأنتم تعتدون عليهم **يوم تستر، فلقبلوا ما عرض عليكم وأنتم أعزاء أقوياء** لقوم هم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون، فوالله لازلتم عليهم جرآء وعندهم أعزاء أبدا ما بقيتم إن أنتم قبلتم.

فوثب أهل العراق من كل جانب وقالوا:

- إن الله أهلكهم فأصبحوا في الضنك والمجاعة والقلة والذلة، ونحن ذو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة، لا والله لا نقبل.

وأعادوا خلع الحجاج ثانية.

وكان أول من قام بخلعه بدير الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلم ي، وعمير بن تيجان، وكان اجتماعهم على خلع الحجاج بن يوسف أجمع من خلعه إياه يوم أن بايعوا ابن الأشعث، فقال عبد الله بن عبد الملك، ومحمد بن مروان للحجاج:

- شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فإنا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع.

وكان ذلك إيذانًا بالقتال.

وقعة دير الجماجم:

سار الحجاج بن يوسف من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل بجنده من أهل الشام دير قرة.

وخرج عبد الرحمن بن الأشعث من الكوفة إلى دير الجماجم ، وكان ذلك في شعبان سنة ثلاث وثمانين من الهجرة.

قال الحجاج بن يوسف:

- إن عبد الرحمن نزل دير الجماجم، ونزلت دير القرة، أما ترجز الطير؟

واجتمع إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أهل الكو فة وأهل البصرة والقراء وأهل الثغور والمصالح بدير الجماجم، واجتمعوا على حرب الحجاج بن يوسف لبغضه، وكانوا مائة ألف.

وجاءت الحجاج إمدادات من الشام قبل نزوله دير قرة.

جعل الحجاج بن يوسف على ميمنة جيشه عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي، وعلى خيله سفيان بن الأبرد الكلبي، وعلى رجاله عبد الله بن خبيب الحكمي.

وجعل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمي، وعلى ميسرته الأبرد بن قرة التميم ي، وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمي، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبى وقاص، وعلى مجنبتيه - مجففته - عبد الله بن رزام الحارثي، وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعف ي وفيهم: سعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وأبو الختر ي الطايي، وعبد الرحمن بن أبى ليلى - ليلة -.

ثم أخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقتتلون، وأهل العراق ت أتيهم موادهم من الكوفة وسوادها **وهم في خصب**.

وأهل الشام في ضنك شديد قد غلت عليهم الأسعار وفقد عندهم اللحم كأنهم في حصار وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون.

فلما كان اليوم الذي قتل فيه جبلة بن زحر بن قيس، وكانت كتيبته تدعى القراء تحمل عليهم فلا يبرحون.

وعبأ الحجاج بن يوسف صفوفه، وعب أ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث صفوفه ووقف سعيد بن جبير وقال:

- قاتلوهم على جورهم في الحكم وخروجهم من الدين، وتجبرهم على عباد الله، وإماتتهم الصلاة واستذلالهم المسلمين.

كتيبة القراء:

حملت كتائب الحجاج بن يوسف على كتيبة القراء من أصحاب ابن الأشعث وكان عليهم جبلة بن زحر فقام وقال بصوت مرتفع:

- يا ابن جبير، يا عبد الرحمن بن أبى ليلى، يا معشر القراء إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعت على بن أبى طالب، رفع الله درجته في الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا أهل الشام - أثناء الفتنة الكبرى بينه وبين معاوية -:

أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد **سلم وبرئ** ، ومن أنكره بلسانه فقد **أجر** وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى، **فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين** ، فقاتلوا هؤلاء المحلين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو الختري:

- أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم.

وقال عامر الشعبي:

- أيها الناس قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم، والله ما أعلم على بسيط الأرض بظلم ولا في حكم منهم.

وعاد سعيد بن جبير فقال نحو ذلك:

وحمل القراء على أهل الشام حملة رجل واحد فضربوا الكتائب حتى أزالوها وفرقوها وتقدموا وسأل الزبرقان الأسدي أبا عبد الله:

- إني مملوك ومولا ي مع الحجاج أ فتخاف علىَّ إن قتلت أن يكون على وزر؟

قال سعيد بن جبير:

- لا، قاتل فإن مولاك لو كان هاهنا قاتل بنفسه وبك.

وتقدمت كتيبة القراء في نحر أهل الشام، ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر قتيلاً وقد حُزّت رأسه وج يء برأسه إلى الحجاج فسر

سرورًا شديدًا وبشر أصحابه بذلك.

ولما رأى القراء جبلة بن زحر قتيلاً سقط في أيديهم وتناعوه بينهم فقال سعيد ابن جبير:

- لا يظهرن عليكم قتل جبلة إنما كان كرجل منكم أتته منيته فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه.

وظهر الفشل في كتيبة القراء، ولكن سعيد بن جبير وأبو الختر ي وعبد الرحمن بن أبى ليلى وعامر الشعبي أشعلوا النار في صدور أصحابهم فحملوا على أصحاب الحجاج حملة صادقة وكادت الهزيمة تلحق بطاغية ثقيف ومن معه، إلا أن الحجاج بن يوسف لج أ إلى مكائده الكثيرة وعزيمته الصخرية فشد على أهل العراق شدة رجل واحد **فهزمت جحافل الشام أهل العراق،** فاندحر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وفر هاربًا تتقاذفه السبل والمشارف، وتفرق جيشه أباديد.

فذهب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى روتبيل ملك الترك. ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند.

فرار سعيد بن جبير:

كان سعيد بن جبير يعلم حقيقة ما ينتظره من عذاب أليم ثم القتل بعد هزيمة ابن الأشعث، فهرب إلى أصبهان فكتب الحجاج بن يوسف إلى عاملها:

- أن ابعث إليَّ سعيد بن جبير.

فأرسل عامل أصبهان إلى أبي عبد الله يعر فـه ذلك وي أمره بمفارقته، فهرب سعيد بن جبير إلى أذربيجان فكان يعتمر في كل سنة ويحج.

سعيد بن جبير في مكة:

لما انهزم أصحاب بن الأشعث في دير الجماجم هرب سعيد بن جبير لحق بمكة، وكان يفتي الناس.

سئل سعيد بن جبير:

- الشكر أفضل أم الصبر؟

قال أبو عبد الله:

- الصبر والعافية أحب إليَّ.

وقال هلال بن خباب:

- يا أبا عبد الله من أين هلاك الناس؟

قال سعيد بن جبير:

- من قبل علمائهم.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى :{إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٌ } [سورة العنكبوت الآية: ٥٦].

قال أبو عبد الله:

- إذا عمل فيها بالمعاصي فاخرجوا.

وسأل رجل أبا عبد الله:

- ما قول أبى عبد الله في الخضاب بالوسمة؟

قال سعيد بن جبير:

- يكسو الله العبد النور في وجهه ثم يطفئه بالسواد؟

فقال الرجل:

- معنى ذلك أرك تكرهه؟

قال أبو عبد الله:

- نعم

وسئل ابن جبير عن الخشية فقال:

- **إن الخشية** أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية، **والذكر طاعة الله** فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن.

قال سعيد بن جبير:

إن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت:

- يا نبي الله إني أذنبت ذنبًا عظيمًا، وقد تبت منه إلى الله تعالى، فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب عليَّ.

فقال لها كليم الله:

- وما ذنبك؟

قالت المرأة:

- يا نبي الله **إني زنيت وولدت ولدًا فقتلته**.

فقال موسى عليه السلام:

- اخرجي يا فاجرة لا تنزل علينا نار من السماء فتحرقنا بشؤمك.

فخرجت المر أة من عنده **منكسرة القلب** ، فنزل جبريل عليه السلام وقال:

- يا موسى الرب تعالى يقول لك: **لم رددت التائبة يا موسى؟** أما وجدت شرًا منها؟

قال موسى عليه السلام:

- يا جبريل ومن هو شر منها؟

- **تارك الصلاة عامدًا متعمدًا**.

وقال سعيد بن جبير لابنه عبد الملك:

- أظهر اليأس مما في أيد ي الناس فإنه غناء، وإياك وما يعتذر منه، فإنه لا يعتذر من خير.

ورأى خصيف أبا عبد الله يصلي ركعتين خلف المقام - مقام إبراهيم عليه السلام - قبل صلاة الصبح، فأتاه وصلى إلى جنبه وسأله عن آية من كتاب الله، فلم يجبه، فلما صلى الصبح قال الخصيف:

- إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلى الصبح.

وقرأ ابن جبير قوله تعالى:{ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾} [سورة يس الآية: ٥٩]، حتى تصبح.

وسأل جعفر سعيد بن جبير:

- من أعبد الناس؟

قال أبو عبد الله:

- رجل اجترح من الذنوب فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله.

في عرفة:

قال عثمان بن بردوية:

كنت مع وهب بن منبه، وسعيد بن جبير يوم عرفةتحت نخل ابن عامر.

قال وهب لسعيد:

- يا أبا عبد الله كم لك منذ خفت من الحجاج؟

قال سعيد بن جبير:

- خرجت عن امرأتي وهي حامل فجاءن ي الذي في بطنها وقد خرج وجهه - خرجت لحيته -.

فقال وهب بن منبه:

- إن من كان قبلكم كان إذا أصابه بلاء عده رخاء، وإذا أصابه رخاء عده بلاء.

الواشي.. والطاغية:

مضت سنون طويلة وأبو عبد الله بعيدًا عن عيون طاغية ثقيف، وذات يوم جاء أبو حصين فقال لسعيد بن جبير:

- إن هذا الرجل قادم - يعنى خالد بن عبد الله القسري - ولا آمنك عليه، فأطعنى وأخرج.

فقال أبو عبد الله:

- والله لقد فررت حتى استحييت من الله.

فقال أبو حصين:

- والله إني لأراك كما سمتك أمك سعيدًا.

* وقيل:

لما ولى خالد بن عبد الله القسري مكة قيل لأبي عبد الله:

- إنه رجل سوء فلو سرت عن مكة.

فقال سعيد بن جبير:

- والله لقد استحييت من الله، مما أفر ولا مفر من قدره.

وتولى على مدينة رسول الله ﷺ عثمان بن حيان بدلاً من عمر بن عبد العزيز، فجعل يبعث من المدينة من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من العراق إلى الحجاج بن يوسف في القيود، وتعلم منه خالد بن عبد الله القسري - خالد بن الوليد القسري -.

* وقيل:

إن الحجاج أرسل إلى خالد يخبره **أن بمكة أقوامًا من أهل الشقاق.**

فعين خالد من عنده من مكة: سعيد بن جبير، وعطاء بن رباح، ومجاهد بن جبير، وعمرو بن دينار، فوضع القيود في أيديهم وأرجلهم.

يقول هشام الدستوائي:

- رأيت سعيد بن جبير يطوف البيت مقيدًا، ورأيته داخل الكعبة عاشر عشرة مقيدين.

قال أبو عبد الله:

- وشى بي واش في بلد الله الحرام أكله إلى الله.

وسمع خالد بن عبد الله القسري صوت القيود فتساءل:

- ما هذا؟

فقيل له:

- سعيد بن جبير وطلق بن حبيب وأصحابهما يطوفون بالبيت.

فقال خالد بن عبد الله القسري:

- اقطعوا عليهم الطواف.

في الطريق إلى الحجاج:

كان سير سعيد بن جبير إلى طاغية ثقيف مع حرسين، فانطلق أحدهما لحاجة وبقى الآخر فقال لسعيد بن جبير وقد استيقظ من نومه ليلاً:

- يا سعيد إني أبرأ إلى الله من دمك، إني رأيت في منام ي فقيل لي: ويلك، تبرأ من دم سعيد بن جبير فلذهب حيث شئت فإني لا

أطلبك.

فأبى سعيد بن جبير.

فرأى ذلك الحرس مثل تلك الرؤيا ثلاثًا، **فلذن لسعيد بالفرار** وأبو عبد الله يأبى أن يفعل.

* وقيل:

لما سار الحرس به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله فقال الحرس:

- والله إني أذهب بك إلى من يقتلك فاذهب إلى أي طريق شئت فقال له سعيد بن جبير:

- إنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتن ي، فإن خليت عني خفت أن يقتلك، ولكن اذهب بي إليه.

ومات طلق بن حبيب في الطريق إلى الكوفة.

عامر الشعبي.. والحجاج:

لما انهزم أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث نادى منادى الحجاج:

- من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن.

وكان الحجاج بن يوسف قد ولاه الر ي وسار إليه فلحق به ك ثير من الناس، وكان من بينهم عامر الشعبي، فذكره الحجاج يومًا فسأل عنه، فقال يزيد بن أبى مسلم:

- إنه لحق بقتيبة بالري.

فكتب الحجاج إلى قتيبة يأمره بإرسال عامر الشعبي.

فأرسله.

قلما قدم عامر الشعبي على الحجاج لقى ابن أبى مسلم وكان صديقًا له، فاستشاره فقال ابن أبى مسلم:

- اعتذر مهما استطعت.

وأشار بمثل ذلك إخوان الشعبي ونصحائه.

فلما دخل الشعبي على الحجاج رأى غير ما ذكر له، فسلم عليه بالإمرة وقال:

- أيها الأمير إن الناس قد أمرون ي بغير ما يعلم الله أنه الحق، وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق، وقد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا **فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البررة** ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا، **فإن سطوت فبذنوبنا** ، وما جرت إليه أيدينا، **وإن عفوت فبحلمك**، وبعد فللحجة لك علينا.

فقال الحجاج بن يوسف:

- أنت والله أحب إلى قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا، ثم يقول:

- ما فعلت ولا شهدت، وقد أمنت يا شعبي.

ثم تساءل الحجاج:

- كيف وجدت الناس بعدنا؟

قال عامر الشعبي:

- أصلح الله الأمير، اكتحلت بعدك السهر، واستوعرت الجناب، واستحلت الخوف، وفقدت صالح الإخوان، ولم أجد من الأمير خلفًا - خالفًا -.

فقال الحجاج بن يوسف:

- انصرف يا شعبي.

فانصرف الشعبي.

المحاكمة:

بعد أن قبض الحجاج بن يوسف على ناصية الأمر، عقد محاكمات دامية للثائرين، فأحضر محمد بن سعد بن أبى وقاص - كان سعد بن أبى وقاص خال رسول الله ﷺ - فقال له الحجاج:

- يا ظل الشيطان، أعظم الناس تيهًا وكبرًا تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين بن على وبابن عمر ثم ضربت مؤذنا؟

وجعل الحجاج يضرب رأس محمد بن سعد بعود في يده حتى أدماه.. ثم أمر بقتله.

ثم دعا بعمر بن موسى فقال له:

- **يا عبد المرأة** تقوم بالعامود على رأس بن الحائك - يعنى ابن الأشعث - وتشرب معه في الحمام؟

فقال عمر بن موسى:

- أصلح الله الأمير، كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها، فقد أمكنك الله منا فإن عفوت فبحلمك وبفضلك وإن عاقبت ظلمة مذنبين.

قال الحجاج بن يوسف:

- أما أنها شملت فكذبت، ولكنها شملت الفاجر وعُوفي منها الأبرار، وأما اعترافك فعسى أن ينفعك.

ورجا الناس لعمر بن موسى السلامة.

ولكن الطاغية أمر به فقتل.

ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال له الحجاج:

- أحببت أن ابن الأشعث طلب ما طلب، ما الذي أملت أنت معه؟

قال الهلقام بن نعيم:

- أملت أن يملك فيوليني العراق كما ولاك عبد الملك إياه.

فأمر الحجاج به فقتل.

ثم دعا الحجاج بن يوسف عبد الله بن عامر، فلما أتاه قال الحجاج:

- لا رأت عينك الجنة إن أفلت.

فقال عبد الله بن المهلب

- بما صنع.

فتساءل الحجاج بن يوسف:

- وما صنع؟

قال عبد الله بن عامر:

لأنه كاس في إطلاق أسرته وقى بقومك ورد الموت أسرته

::
:
::
:

وقاد نحوك في أغلالها مضرا وكان قومك أدنى عنده خطرا

فأطرق الحجاج ووقرت في قلبه وقال:

- وما أنت وذاك؟

فأمر به فقتل.

وأمر الحجاج بإحضار أعشى همدان، فلما جاء سأله:

- ايه يا عدو الله، أنشدني قولك: بين الأشج وبين قيس.

قال أعشى همدان:

- بل أنشدك ما قلت لك

قال الحجاج بن يوسف:

أبى الله إلا أن يتم نوره ... ويطفئ نار الفاسقين فتخمدا
ويظهر أهل الحق في كل موطن ... ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
وين نزل ذلاً بالعراق وأهله ... لما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا

فلما أتم أعشى همدان قصيدته قالوا:

- أحسن، أصلح الله الأمير.

فهز الحجاج رأسه وقال:

- لا لم يحسن، إنكم لا ترون ما أراد بها.

ثم قال الحجاج لأعشى همدان:

- يا عدو الله والله لا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف أن لا يكون ظهر وظفر، وتحريضًا لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألتك، أنشدنا قولك: بين الأشج وبين قيس باذخ.

فأنشد أعشى همدان.

فلما قال:

بخ بخ لوالده وللمولود.

قال الحجاج:

- والله لا تبخبخ بعدها أبدًا.

فضربت عنق أعشى همدان.

وأخذ الحجاج يرسل ضحاياه إلى الجلاد شهيدًا وراء شهيد، لا يعبأ بعذر واضح أو يستشعر خشية مرهوبة.

القاضي والجلاد:

نزل أبو عبد الله في داره بالكو فة، وأتاه قراء الكو فة، فجعل يحدثهم وهو يضحك وبنية له في حجره، فلما نظرت إلى القيد في رجله بكت ثم أدخلوه على الحجاج بن يوسف فلما رآه قال:

- لعن الله ابن النصرانية - يعنى خالد بن عبد الله القسر ي -، أما كنت أعرف مكانه؟ بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة.

ثم أقبل الحجاج على سعيد بن جبير فقال له:

- يا سعيد ألم أشركك في إمامتي؟ ألم أفعل؟ ألم أستعملك؟

حتى ظن من عند الحجاج أنه سيخلي سبيل أبى عبد الله.

قال أبو عبد الله:

- بلى.

فتساءل الحجاج بن يوسف:

- فما أخرجك على؟

قال سعيد بن جبير:

- أنما أنا أمرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة

فطابت نفس الحجاج بن يوسف.

ثم عاوده في شيء فقال أبو عبد الله:

- إنما كانت بيعة في عنقي.

فغضب الحجاج وانتفخ حتى سقط طرف ردائه عن منكبه وقال له:

- ويحك، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟

قال سعيد بن جبير:

- بلى.

قال الحجاج بن يوسف:

ثم قدمت الكوفة واليًا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة فلخذت بيعتك؟

قال أبو عبد الله:

- بلى.

قال الحجاج بن يوسف:

- فنكثت بيعتين لأمير المؤمنين وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك - يعنى ابن الأشعث؟ - والله لأقتلنك.

ثم نظر إلى سعيد بن جبير وأشار بيده:

- خذوه إلى السجن.

الخنوع... والكرامة:

نظر الحجاج بن يوسف الثقفي إلى زعيم ي الثورة : سعيد بن جبير، وعامر الشعبي الذي أظهر الخنوع والاستكانة وطاطأ رأسه للطاغية منتحلاً شتى المعاذير وتقدم إلى الحجاج وقال له في توبة النادم وآيف المذنب:

- أصلح الله للأمير، لقد حبطتنا فتنة، فما كنا فيها بأبرار أتقياء، ولا فجار أقوياء، وقد كتبت إلى يزيد بن أبى مسلم أعلمه ندامتي على ما فرط مني، ومعرفتي بالحق الذي خرجت منه، وسألته أن يخبرك بذلك ويأخذ أمانًا منك.

هل اعترف عامر الشعبي بنكوصه عن الحق في ثورته على الحجاج؟

هل كان الطاغية في بطشه الماحق وقهر لا يستحق ثورة قوية

تزعزع باطله الجريء؟ قال ذلك ليكافيء الحجاج لأنه أمنه وعفا عنه من قبل؟

لو وقف سعيد بن جبير موقف عامر الشعبي لكان حدثًا رائعًا.. عالمان وفقيهان كبيران يعلنان **ويعترفان بعدل الحجاج** بن يوسف في بغيه، وإنصافهفي جبروته؟ **هل يرضى بذلك رجل ورع** يسمع ويرى ما يزهق من الأرواح، وما يتطاير من الأشلاء كل حين؟

أطال الحجاج النظر إلى وجه سعيد بن جبير، هل قرأ ما يجول بخاطره؟

ماسر البسمة التي تعلو شفتي الحجاج؟

* أراد الحجاج بن يوسف أن يغري سعيد بن جبير بمباهج الدنيا ولهوها، فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فجمع ووضع بين يدي أبى عبد الله فقال للحجاج:

- إن لكفت جمعت هذا لتتقى به فنوع يوم القيامة يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت فلا خير في ش يء جمع للدنيا، إلا ما طا ب وزكا.

فدعا الحجاج بالعود والناي.

فلما ضرب بالعود، ونفخ في النا ي بكى سعيد بن جبير، فتبسم الحجاج، هل رق أبو عبد الله؟ هل أدرك أن الدنيا متاع؟

تساءل الحجاج بن يوسف:

- ما يبكيك؟ أهو اللعب؟

قال سعيد بن جبير:

- هو الحزن، أما النفخفذكرني يومًا عظيمًا، يوم ينفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الأوتار فمن شاة تبعث معها يوم القيامة

قال الحجاج بن يوسف:

- ويلك يا سعيد.

هل كان يريد أن يسمع كلامًا كله اعتذار وتوسل كما فعل عامر الشعبي؟ ظن أن أبا عبد الله ستبهره زينة الدنيا من لؤلؤ وزبرجد وياقوت وآلات عزف وطرب؟

قال سعيد بن جبير:

- لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

قال الحجاج بن يوسف وهو يهز رأسه متوعدًا:

- اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك.

في مواجهة الحجاج:

بكى رجل من القوم.

فقال له سعيد بن جبير:

- ما يبكيك؟

قال الرجل:

- لما أصابك.

قال أبو عبد الله:

- فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا

ثم قرأ: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾} [سورة الحديد الآية: ٢٢].

- ما اسمك؟

فقال سعيد بن جبير في صلابة وعزة:

- اسمي سعيد بن جبير.

ولكن الطاغية قال مبالغًا في استخفافه:

- **بل أنت الشقي ابن كسير.**

فقال سعيد بن جبير:

- كانت أمي أعرف - أعلم - باسمي منك.

غضب الحجاج بن يوسف وصاح في تبرم:

- لقد شقيت وشقيت أمك.

وظن الحجاج أنه بذلك قطع الرد على غريمه، ولكن سعيد بن جبير قال:

- الغيب إنما يعلمه غيرك.

استشرى غيظ الحجاج ولجأ إلى الوعيد والتهديد فقال من بين أسنانه:

- لأبدلنك نارًا تتلظى.

قال سعيد بن جبير في هدوء:

- لو علمت أن ذلك لك ما اتخذت إلـها يغرك.

طال الحوار ولم يصل الحجاج بن يوسف إلى إفحام غريمه كما يريد، لماذا لا يسلك مسلكًا آخر يقرب الفريسة من فخها المرصود؟

كان الكلام عن بعض الصحابة - آنذاك - مثارًا للكيد والاتهام بمناوأة الدولة الأموية والثورة على سياستها العامة، ولا سيما إذا تطرق الحديث إلى الإمام على كرم الله وجهه، لماذا لا يدير الحجاج بن يوسف دقة الحديث إلى أهل البيت؟

قال الحجاج لسعيد بن جبير:

- ما تقول في محمد؟

تساءل سعيد بن جبير:

- تعنى النبي ﷺ ؟

قال الحجاج بن يوسف:

- نعم.

هل السؤال يتطلب رؤيا من عالم بصير كأبي عبد الله؟

صاح سعيد بن جبير يقول:

- سيد ولد آدم، نب ي الرحمة و إمام الهدى، بعثه الله رحمة للعالمين، خير من بقى وخير من مضى.

هل تسلل الطاغية إلى هدفه؟ لم لا يحاوره قليلاً؟ قال الحجاج:

- فما تقول في أبى بكر؟

قال سعيد بن جبير:

- الصديق خليفة رسول الله ﷺ ، ثا ني اثنين إذ هما في الغار أعز الله به الدين وجمع به بعد الفرقة، مضى حميدًا وعاش سعيدًا، ومضى على منهاج نبيه ﷺ ، لم يغير ولم يبدل.

قال الحجاج:

- فما تقول في عمر؟

قال أبو عبد الله:

- عمر الفاروق خيرة - الخيرة من القوم: الأفضل - الله من خلقه، وخيرة رسوله، أحب الله أن يعز الدين بأحد العمرين فكان أحقهما بالخيرة والفضيلة، مضى حميدًا على منهاج صاحبيه لم يغير ولم يبدل.

مرة أخرى لم يغير ولم يبدل؟ لم لا ينتظر قليلاً؟ أنه يقترب من قبره الذي يحفره بيده.

قال الحجاج بن يوسف:

- فما تقول في عثمان؟

قال سعيد بن جبير:

- المقتول ظلمًا، مجهز جيش العسرة - يوم غزوة تبوك -، والمشتري بيتًا في الجنة، الحافر بئر رومة - أرض بالمدينة وهي بئر اشتراها عثمان من يهودي وتصدق بها -، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه - رقية، و أم كلثوم فسمى ذا النورين لأنه كان أول رجل تزوج ابنتي نبي - زوجه النبي ﷺ بوحي من السماء.

لعق الحجاج بن يوسف شفتيه بطرف لسانه وعب ثت أنامله في لحيته وقال:

- فما تقول في علي؟

قال أبو عبد الله:

- ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من أسلم، وزوج فاطمة وأبو الحسن والحسين.

قال الحجاج بن يوسف:

- أهو في الجنة أم في النار؟

ماذا يقول أبو عبد الله؟ إن الرد يحتاج إلى حزم بالغ وحيطة تامة في قوله

قال سعيد بن جبير:

- لو دخلتها وعرفت من فيها لعرفت أهلها.

تلفت الحجاج بن يوسف الثقفي حوله، رماه سعيد بن جبير في بحر الحيرة؟ أغلق أبو عبد الله برده الحازم باب اللجاجة والجدل في وجه كلب حاقد يتربص الدوائر بشيعة أبي الحسن؟

تميز الحجاج غيظًا وحنقًا فقال:

- ما تقول في معاوية؟

قال أبو عبد الله.

كاتب رسول الله ﷺ - كان من كتاب الوحي -.

فقال الحجاج بن يوسف:

- ما قولك في الخلفاء منذ كان رسول الله ﷺ إلى الآن؟

قال أبو عبد الله في هدوء:

- لست عليهم بوكيل، سيجزون بأعمالهم، فمسرور ومثبور - هالك أو مطرود من رحمة الله -.

وسار الحوار في طريقه من باب إلى باب دون أن يزل أبو عبد الله باتهام يدع حيثية ا لإعدام في يد الحجاج بن يوسف الثقفي، أن رأسه يغلي بأفكاره الحاقدة كما يغلى القدر الفائر، ولكن عليه أن يهدأ، فقال الحجاج:

- فأيهم أحب إليك؟

قال ابن جبير:

- أرضا لهم لخالقي.

فقال الحجاج بن يوسف:

- فأيهم أرضى للخالق؟

قال ابن جبير:

- علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

- فما تقول في عبد الملك بن مروان؟

قال سعيد بن جبير:

- إن يكن محسنًا فعند الله ثوابإحسانه، وإن كان مسيئًا فلن يعجز الله.

تنهد الحجاج، هل نفد صبره؟ سد أبو عبد الله باب كل منفذ؟

قال الحجاج بن يوسف:

- فما تقول فيّ؟

- قال سعيد بن جبير:

- أنت أعلم بنفسك.

صاج الحجاج بن يوسف:

- بث في علمك.

قال أبو عبد الله:

- إذًا أسوءك ولا أسرك.

صرخ الحجاج بن يوسف:

قال سعيد بن جبير:

- أعفني.

قال الحجاج بن يوسف:

- لا عفا الله عني إن أعفيتك.

قال أبو عبد الله:

- ظهر منك جور في حد الله، إني لأعلم أنك مخالفًا لكتاب الله، ترى من نفسك أمورًا تريد بها الهيبة وهي التي تقحمك الهلاك، وسترد غدًا

- النار - فتعلم.

لمعت عينا الحجاج بن يوسف ثم تساءل:

- فما بالك لم تضحك؟

قال ابن جبير:

- وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار.

قال الحجاج بن يوسف:

- ما بالنا نضحك؟

قال أبو عبد الله:

- **لم تستو القلوب.**

توهجت عينا الحجاج بن يوسف وقال:

- **أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحدًا قبلك ولا أقتلها أحدًا بعدك.**

قال سعيد بن جبير:

- إذًا تفسد عليَّ دنياي وأفسد عليك آخرتك، والقصاص أمامك.

قال الحجاج بن يوسف من بين أسنانه:

- والله لأقطعنك قطعًا قطعًا وأفرقن أعضاءك عضوًا عضوًا.

ثم التفت نحو غلام وقال بصوت مرتفع:

- يا غلام السيف والنطع - الدرع وهو ما يشبه الحصير من الأدم

- ثم دفع الحجاج أبا عبد الله بيده وقال:

- الويل لك من الله.

قال سعيد بن جبير:

- لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

صاح الحجاج بن يوسف بغلمانه:

- اذهبوا به فاضربوا عنقه.

قال سعيد بن جبير:

- إني أشهدك إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة.

الشهيد الضاحك:

يقول الفضل بن سويد - كان في حجر الحجاج وكان أبوه أوصى إلى الحجاج - بعثني الحجاج في حاجة فقيل:

قد جيء بسعيد بن جبير:

فرجعت لأنظر ما يصنع به، فقمت على رأس الحجاج فقال لسعيد بن جبير:

- يا سعيد ألم أقدم العراق فأكرمتك؟

قال:

- بلى.

قال الحجاج بن يوسف:

- فما أخرجك عليَّ - فما حملك على أن خرجت على -؟

قال أبو عبد الله:

- عُزم على - كانت لابن الأشعث بيعة في عنقي وعزم على -.

فغضب الحجاج بن يوسف وقال:

- رأيت لعدو الله عزمة لم ترها لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي؟ والله لا أرفع قدمي حتى أقتلك وأعجلك إلى النار.

ثم التفت نحو فتيانه وقال:

- ائتوني بسيف رغيب.

فقام مسلم الأعور ومعه سيف حنفي ليضرب عنق سعيد بن جبير فقال:

- أريد ابني.

فجاءوا بابن سعيد، فجعل يبكي، فقال له أبو عبد الله:

- ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة.

ثم هتف الحجاج:

- اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك.

قال ابن جبير في صوت ينبض بالإيمان العميق:

- اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال الحجاج بن يوسف:

- أفتريد أن أعفو عنك؟

قال ابن جبير:

- إن كان العفو فمن الله وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر

قال الحجاج:

- اذهبوا به فاقتلوه.

فأخبر الحجاج بذلك فقال:

- ردوه.

فلما جاءوا به سأله الحجاج:

- ما أضحكك؟

قال ابن جبير:

- **عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك.**

هتف الحجاج من بين أسنانه:

- يا حارس انطلق به فاضرب عنقه.

فانطلق مسلم الأعور فقال له:

- دعني أصلي ركعتين.

فتساءل الحجاج بن يوسف:

- ما يقول لك؟

قال مسلم الأعور:

- قال: دعني أصلي ركعتين.

وتوجه سعيد بن جبير نحو القبلة، فصاح الحجاج:

- اقلبوا ظهره إلى القبلة.

فقال سعيد بن جبير:

{فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ } [سورة البقرة الآية: ١١٥].

لما انتهى سعيد بن جبير من صلاته، نظر إليه الحجاج وقال في سخرية مريرة:

- أتريد أن أعفو عنك؟

قال أبو عبد الله في إيمان وهدوء:

- إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا تملك عفوًا على إنسان.

ولو كان الحجاج بن يوسف ممن يخشون هيبة الله عز وجل لقنع بما سمع، ولقدر لأبي عبد الله إيمانه الراسخ، ويقينه العميق، وحسن ظنه بالله تبارك وتعالى، ولكن حمى الانتقام الرعناء ترتعش في كيانه، ثم تصدع رأسه فيصيح بسعيد بن جبير:

- اختر أي قتلة تريد أن أقتلك بها؟

فقال سعيد بن جبير في هدوء الصابر وإيمان المحتسب:

- بل اختر يا عدو الله لنفسك، فوالله ما تقتلني اليوم قتلة إلا قتلتك في الآخرة بمثلها.

فصرخ الحجاج:

- اذهبوا به ليقتل.

تبسم سعيد بن جبير، فتساءل الحجاج بن يوسف:

- مم ضحكت؟

قال أبو عبد الله:

- من جرأتك على الله عز وجل.

فقال الحجاج:

- اضجعوه للذبح.

فأضجع سعيد بن جبير فقال:

-{وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [سورة الأنعام الآية: ٧٩].

فقال الحجاج:

- اقلبوا ظهره إلى القبلة.

فقال أبو عبد الله:

-{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [سورة البقرة الآية: ١١٥].

فقال الحجاج بن يوسف:

- كبوه على وجهه.

فقرأ سعيد بن جبير:

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾} [سورة طه الآية: ٥٥].

صرخ الحجاج:

- اذبحوه من قفاه.

قال سعيد بن جبير:

- أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة.

شم قال أبو عبد الله:

- اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي.

تقدم مسلم الأعور بسيفه فذبح أبا عبد الله من قفاه.

يقول خلف بن خليفة عن أبيه:

- شهدت سعيد بن جبير، فلما بان رأسه قال: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

ثم قالها الثالثة فلم يتمها.

ولما ذبح سعيد بن جبير سال منه دم كثير، فطلب الحجاج الأطباء فجاءوا.

قال الأطباء:

- قتل هذا - أبو عبد الله - ونفسه معه، والدم يتبع النفس، أما غيره فكانت نفسه تذهب مع الخوف، فلذلك قل دمهم.

وكان ذبح الشهيد الضاحك في شعبان سنة خمس وتسعين من الهجرة بمدينة واسط.

ماذا قالوا بعد مقتل سعيد بن جبير؟

لما قيل للحسن البصري:

- إن الحجاج بن يوسف قتل سعيد بن جبير ذبحًا.

قال الحسن البصري:

- اللهم ائت على فاسق ثقيف، اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج، والله لو أن ما بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتل سعيد لكبهم الله عز وجل في النار.

فما بقى الحجاج بن يوسف الثقفي ثلاثًا - ثلاثة أيام أو ثلاث ليال - **حتى التأث عقله، وشرد رأيه منذ أن شاهد رأس الشهيد يتطاير عن جسده، فلم يذق النوم إلا غرارًا، وكان يستيقظ فزعًا وهو يصيح:**

- يا قوم ، ما لي ولسعيد بن جبير، كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي.

قال عمرو بن ميمون:

- لقد مات سعيد بن جبير ما على ا لأرض أحد إلا هو يحتاج إلى علمه

يقول بعلي:

- كنت أكتب للحجاج، أنا يومئذ غلام حديث السن، فدخلت عليه يومًا بعد مقتل سعيد بن جبير وهو في قبة - خيمة - لها أربعة أبواب، فدخلت مما يلي ظهره فسمعته يقول:

- ما لي ولسعيد بن جبير.

فخرجت رويدًا، وعلمت أنه إن علم بي قتلن ي، فلم يلبث الحجاج بعد ذلك إلا يسيرًا.

وفي رواية أخرى:

عاش الحجاج بعد سعيد بن جبير خمسة عشر يومًا.

وقيل: ثلاثة أيام.

لما حضرت الحجاج الوفاة كان يغيب ثم يفيق ويقول:

- ما لي ولسعيد بن جبير؟

ورؤي الحجاج بن يوسف بعد موته في المنام فقيل له:

- ما فعل الله بك؟

- قتلني بكل قتلة قتلة، وقتلني سعيد بن جبير سبعين قتلة.

فهل سمعت السماء دعاء الشهيد المظلوم؟

لقد مات الطاغية بعد أيام من مصرع غريمه دون أن يريق دمًا لإنسان، فحسم مفرق اللذات شر الحجاج بن يوسف عن الناس.

سعيد بن جبير ورواية الحديث عن المبعوث رحمة للعالمينﷺ :

أسند سعيد بن جبير عن بعض الصحابة وعن جماعة من التابعين.

قال خاتم النبيين ﷺ :

شكا نبي من الأنبياء إلى ربه فقال:

-♂يا رب يكون العبد من عبيدك يؤمن بك، ويعمل بطاعتك فتزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء، ويكون العبد من عبيدك يكفر بك، ويعمل بمعصيتك فتزوي عنه البلاء، وتعرض له الدنيا؟ـــ.

فأوحى الله إليه:

-♂إن العباد والبلاد لي، وأنه ليس من شيء إلا وهو يسبحني ويهللني ويكبرني، فأما عبدي المؤمن فله سيئات فلأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء حتى يأتيني فأجزيه بحسناته، و أما عبد ي الكافر فله حسنات فلأزوي عنه البلاء وأعرض له الدنيا حتى يأتيني فلأجزيه بسيئاته ـــ (رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية).

وقال حازم بن جبلة العبدي عن سفيان الموري عن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

- قال رسول الله ﷺ :

♂جميع أعمال بنى آدم تحصره الملائكة الكرام الكاتبون إلا حسنات المجاهدين في سبيل الله، فإ ن الملائكة الذين خلقهم الله يعجزون عن علم إحصاء حسنات أدناهم ـــ (رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس).

وقال النبي الأمي العربي الزكي القرشي الهاشمي ﷺ :

-♂**إن أول شيء خلقه الله القلم و أمره فكتب كل شئ يكون** ـــ (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عباس)

وقال حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

- قال رسول الله ﷺ :♂**اجعلوا أئمتكم خياركم ف إنهم وفد فيما بينهم وبين الله**ـــ (رواه الدارقطني عن ابن عمر).

قال سعيد بن جبير:

- سئل بن عباس: مِثْلُ من أنت حين قبض رسول الله ﷺ ؟

قال عبد الله بن عباس:

- أنا يومئذ مختون.

وكانوا يومئذ لا يختنون الرجل حتى يدرك أو قارب الاحتلام (رواه البخاري عن بن جبير).

سعيد بن جبير والقرآن:

يقول أبو عبد الله:

كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر - قراءة القرآن -.

وقال خاتم النبيين ﷺ :

-♂**أحسن الناس صوتًا من إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى**ـ (رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، والديلم ي في مسند الفردوس عن عائشة)

قال سعيد بن جبير:

- كان المشركون يحضرون بالمسجد، فـإذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

قالوا:

- هذا محمد يذكر رحمان اليمامة - يعنون مسيلمة بن حبيب -.

فأمر أن يخافت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

ونزل:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا } [سورة الإسراء الآية: ١١٠].

وسئل سعيد بن جبير:

- لماذا سمى آدم؟

قالى أبو عبد الله:

- إنما سمى آدم لأنه خلق من أديم الأرض، و إنما سمى إنسانًا لأنه نسى (ذكره ابن سعد في الطبقات).

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى { وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا } [سورة البقرة الآية: ٣١].

فقال سعيد بن جبير:

- اختلف أهل التأويل في معنى الأسماء التي علمها الله عز وجل لآدم عليه السلام، ولقد علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها

وكان أبو عبد الله إذا قرا هذه الآية :{وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ } [سورة البقرة الآية: ٣٣].

- المراد ما كتمه إبليس في نفسه من الكبر والمعصية.

فقال الرجل:

- يا أبا عبد الله هل كان إبليس من الملائكة؟

قال سعيد بن جبير:

- قال ابن عباس: كان إبليس من الملائكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار شيطانًا.

ثم قال أبو عبد الله:

- إن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار، و إبليس منهم، وخلق سائر الملائكة **من نور.**

وقال الرجل:

- يا أبا عبد الله ما هي الشجرة التي حذر الله عز وجل آدم عليه السلام وزوجه ألا يقرباها؟

قال سعيد بن جبير:

- هي الكرم، ولذلك حرمت علينا الخمر.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى :{وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ} [سورة البقرة الآية: ٣٦].

قال:

لما أهبط آدم إلى الأرض لم يكن فيها شيء غير النسر في البر، والحوت في البحر، فكان النسر يأو ي إلى الحوت فيبيت عنده، فلما رأى النسر آدم قال:

- يا حوت، لقد أهبط اليوم إلى الأرض شيء يمشي على رجليه ويبطش بيديه:

قال الحوت:

- لئن كنت صادقًا ما لي منه في البحر منجى، ولا لك في البر منه مخلص.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى :{وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ} [سورة

البقرة الآية: ٤٣].

قال:

- هل هي صلاة الجماعة؟

قال أبو عبد الله:

- قال رسول الله ﷺ: **من سمع النداء - الآذان - فلا صلة له - منفردًا - إلا من عذر.**

وكان أبو عبد الله إذا قرأ قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ} [سورة البقرة الآية: ٤٤].

قال:

- لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر.

وسئل سعيد بن جبير عن الحجر: {فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ} [سورة البقرة الآية: ٦٠].

فقال أبو عبد الله:

- هو الحجر الذي وضع عليه موسى عليه السلام ثوبه لما اغتسل، وفر بثوبه حتى برأه الله مما رماه به قومه - بنو إسرائيل -.

وكان أبو سعيد إذا قرأ قوله تعالى: {وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ} [سورة البقرة الآية: ٨٧].

قال: {بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ} هو اسم الله الأعظم.

وقيل: جبريل عليه السلام.

وقيل: القدس: هو الله عز وجل.

وقيل: هو الاسم الذي كان يحيى به عيسى عليه السلام الموتى.

يقول سعيد بن جبير:

- لما نزلت: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [سورة غافر الآية: ٦٠].

قالوا:

- أين؟

فنزلت: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [سورة البقرة الآية: ١١٥].

وكان سعيد إذا قرأ قوله تعالى: {وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ} [سورة البقرة الآية: ١٥٠].

- قال سعيد بن جبير:

- ولم تتم نعمة الله على عبد حتى يدخله الجنة.

وسئل ابن جبير عن قوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [سورة البقرة الآية: ١٥٢].

قال:

- الذكر طاعة الله فمن لم يطعه لم يذكره، و أن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن.

وقال سعيد بن جبير:

- اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [سورة البقرة الآية: ١٥٦].

قال:

- لم تعط هذه الكلمات نبيًا قبل نبينا، ولو عرفها يعقوب لما قال:

{يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} [سورة يوسف الآية: ٨٤].

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى: {يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} [سورة يوسف الآية: ٨٤].

فقال:

- لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ} [سورة البقرة الآية: ١٥٦]، ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول:

{يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ} [سورة يوسف الآية: ٨٤].

والأسف شدة الحزن على ما فات.

والنداء على معنيك تعال يا فانه من أوقاتك.

ويقول سعيد بن جبير:

- لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال: {يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ} [سورة يوسف الآية: ٨٤].

وسئل سعيد بن جبير:

- العمرة واجبة يا أبا عبد الله؟

قال سعيد بن جبير:

- نعم.

قال ابن عباس:

- العمرة واجبة كوجوب الحج من استطاع إليه سبيلا.

يقول جابر بن عبد الله:

- سأل رجل رسول الله ﷺ عن الصلاة والزكاة والحج: أواجب هو؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-♂**نعم**▬.

فسأله عن العمرة أواجبة هي؟

قال أبو القاسم ﷺ :

-♂**لا وإن تعتمر خير لك**ـــ.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:

{رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا} [سورة البقرة الآية: ٢٨٦].

قال:

- **الأصر:** شدة العمل، وما غلظ على بنىإسرائيل من البول ونحوه

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى :{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } [سورة آل عمران الآية: ٩٧].

قال:

- لو مات جار لي وله ميسرة ولم يحج لم أصل عليه.

تال الصادق المصدوق ﷺ :

-♂**يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج على من استطاع إليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على أي حال شاء إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا إلا أن يكون عذر من مرض أو سلطان جائر، لا نصيب له في شفاعتي ولا ورود حوضي.**

وسئل سعيد بن جبير عن{وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ }[سورةالنساءالآية٣٦].

فقال:

- **الزوجة.**

وسأل رجل أبا عبد الله:

- يا تق ي الدين أي ور ق الشجر ذكره الله تبارك وتعالى في قوله:{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ } [سورة الأعراف الآية: ٢٢].

قال سعيد بن جبير:

- ورق التين.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى :{وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا} [سورة هود الآية: ٩١].

قال:

- كان شعيب عليه السلام **مصابا ببصره.**

وقال:

كان ضعيف البصر.

سئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى :{ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ } [سورة إبراهيم الآية: ٣٩].

فقال سعيد بن جبير:

- بشر إبراهيم بإسحاق بعد عشر ومائة سنة.

وقال عبد الله بن عباس:

- ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة، وإسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة.

وهذا دليل قاطع على أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق كما يزعم قتلة الأنبياء وإخوان القردة والخنازير.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى :{لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ} [سورة النحل الآية: ٦٢].

قال أبو عبد الله:

متركون منسيون في النار.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى :{وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } [سورة الإسراء الآية: ١٠٢].

قال:

- مخسور وخاسر.

وقيل: **ملعونًا**.

وسأل رجل من أهل الكتاب سعيد بن جبير:

- أي الأجلين قضى موسى عليه السلام؟

قال سعيد بن جبير:

- لا أدري حتى أقدم على **حبر العرب** فأسأله.

ثم انطلق سعيد بن جبير إلى عبد الله بن عباس فقال له:

- أي الأجلين قضى كليم الله؟

قال ابن عباس:

- **قضى أكملهما وأوفاهما عشر سنين**.

فأعلم سعيد بن جبير النصراني فقال:

- صدق والله هذا العالم - ابن عباس -.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى :{ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ } [سورة الأنبياء الآية: ١٠٣].

فقال:

- هو إذا أطبقت النار على أهلها وذبح الموت بين الجنة والنار.

وسئل سعيد بن جبير عن:{طِينٍ لَّازِبٍ } [سورة الصافات الآية: ١١].

فقال:

- لزج، جيد حر يلصق باليد.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى :{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ } [سورة الدخان الآية: ٢٩].

قال:

- فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الأرض.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى :{ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ } [سورة الفيل الآية: ٣].

فقال:

- كانت طيرًا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها.

* * *